الإهـــــداء

- الى زوجتى رفيقـــة كفاحى ..

- الى أبنـــائى الصـــغار أحمد وغادة وفاتن الذين تركتهم مدة عام من أجل اعداد هذا البحث فى الولايات المتحدة .

اليهم جميعـــا أهـــدى هذا العمل العلمى ..

د. عبد المنعم الجميعى

obeikan.com

obeikan.com

مقدمة

اغتنمت فرصة وجودى بالولايات المتحدة فى مهمة علمية لمدة عام ، ابتداء من سبتمبر ١٩٨٣ ، فوضعت نصب عينى أهمية الوصول الى الدراسات التاريخية الأكاديمية الخاصة بتاريخ مصر الحديث ، والتى أجازتها الجامعات الأمريكية ، هادفا من ذلك أن أبين للباحثين والمؤرخين المصريين الذين لم تتح لهم الفرصة للاطلاع على هذه الرسائل ماهية هذه الدراسات ونوعياتها ، خصوصا وأن خير طريقة لتطوير الدراسة التاريخية المصرية لايتأتى الا بمواجهة الواقع ، والانفتاح على كل الآفاق ، ورغم أنه بدا لى فى أول الأمر أن الموضوع معقد ومتشابك خصوصا وأن هذه الدراسات بدأت منذ زمن طويل ، يرجع الى ما قبل انشاء الجامعات المصرية ، يضاف الى ذلك أن الجامعات الأمريكية التى تهتم بتاريخ الشرق الأوسط عموما وتاريخ مصر خصوصا ممتدة فى طول الولايات المتحدة ، وعرضها فقد هان ذلك كثيرا بعد استعمال البحث بالكمبيوتر computer searching وملخصات الرسائل الدولية

Dissertation Abstracts International

والملخصات التاريخية — ملخصات القرن العشرين

Historical Abstracts — Twentieth century Abstracts 1914-1984.

وبعد الاطلاع على الرسائل التى قدر لها النشر ، واستخدام ما رأيته صالحا منها لهذا البحث تكشف لى بوضوح ضرورة الاطلاع على الرسائل التى لم تنشر ، خصوصا وأنها غير معروفة لدينا ، وبالرغم من أن هذا الأمر كان يتطلب الجهد الجهيد فى التنقل من جامعة الى

أخرى ، فقد بدا هـذا الموضوع هينا أكثر مما توقعت بعـد أن علمت أنه يوجد بمكتبة جامعة بنسلفانيا قسم يسمى اقتراض الكتب فيما بين المكتبات Interlibrary loan يمكن عن طريقه تسهيل عملية احضار هـذه الرسائل من الجامعات التى أجازتها واعارتها لمن يحتاج اليها .

ومن المفيد فى هـذا المقام أن نـذكر بأن بعض الجامعات الأمريكية مثل هارفارد وشيكاغو وأوهايو لاتسمح باعارة الرسائل التى أجازتها كلياتها ، فشيكاغو يمكن أن تبيع نسخا مصورة من رسائلها لا أن تعيرها ، وكذلك أوهايو فانها لاتسمح باعارة رسائلها التى أجيزت بعد عام ١٩٥٤ بل يمكن أن تبيعها ، أما هارفارد فلا تسمح لا بالبيع ولا بالاعارة ومن هنا كان يجب على الذهاب الى مكتبة جامعة هارفارد بكامبريدج ، وشراء بعض نسخ من رسائل جامعة شيكاغو وأوهايو .

ومن المفيد أيضا أن نذكر أن البحث بالكمبيوتر كثيرا ماتكون معلوماته فى حاجة الى المراجعة فعندما طلبت الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية فى تاريخ مصر الحديث أعطانى الكمبيوتر الرسائل الموجود فى عنوانها كلمة Egypt سواء أكانت هذه الكلمة تعنى وطننا مصر أو البلدة التى تحمل هذا الاسم فى أمريكا (١) أما عن الرسائل التى أجيزت فى تاريخ مصر الحديث ، ولم يكن ضمن عنوانها كلمة Egypt أو Egyptian فلا تظهر فى الكمبيوتر مثل غيرها مما أجيز من دراسات وضمن عنوانه كلمة مصر وعلى سبيل المثال نذكر الرسائل الآتية :

1. The Diplomatic Relationship between the Ottoman Empire and the Mamluk Empire in the First quarter of the Sixteenth Century.

---

(١) توجد فى ولاية نيوجرسى الأمريكية New Jersey بلدة تحمل اسم New Egypt.

2. The Reforming years of Khedive Ismail Ibn Ibrahim 1863-1879.
3. Political journalism and Urabi Revolt.
4. The Politics of faith Yaqub Sanu As Abu Naddara.
5. The Fashoda Crisis.
6. Reform of Al-Azhar in the 20th Century.
7. The Azhar Journal — Survey Critique.
8. Muhammad Husayn Haykal : An Intellectual and Political Biography.
9. The Society of the Muslim Brothers.
10. The Formative stages of Sayyid qutb's.
11. The Suez Crisis 1956 : A case study in contemporary History.
12. Anthony Eden and the Suez Crisis of 1956.
13. Canadian foreign Policy During the Suez Crisis 1956.

ومعنى ذلك أن البحث بالـكمبيوتر Computer searching في وضـعه الراهن لم يتم امداده بالمعـلومات الأكاديميـة بواسـطة متخصص فى تاريخ مصر ، لذلك فان معلوماته تكون فى أحيـان كثيرة غير كاملة أو سليمة ، مما يشكل الضد التام لما يستخدم الكمبيوتر من أجله ، وعلى هـذا فقد اضطررت الى مراجعة المادة العلمية لهذا البحث بعد استخدام الـكمبيوتر الذى لم يوفر على بهذه الصورة لا جهـدا كبيرا ولا وقتا طويلا .

وعن خطتى فى كتابة هـذا البحث فقد رأيت أن التعريف بهـذه الرسائل التى أجيزت فى هذا العالم البعيد لا يكفى وان ذلك يمكن أن يكون من صميم عمل أحد المتخصصين فى علوم المـكتبات لا فى علم

التاريخ ، ومن هنا فقد رأيت القيام بعمل دراسة مقارنة بين هذه الرسائل ومثيلاتها التى نوقشت فى مصر .

وخلال العمل فى هذه الدراسة برزت لى عدة تساؤلات يمكن اجمالها فيما يلى :

— هل الجامعات الأمريكية سبقت الجامعات المصرية فى دراسة تاريخنا دراسة أكاديمية أو بمعنى آخر هل طلاب الدكتوراه فى الجامعات الأمريكية سبقوا طلابنا فى مصر فى العديد من موضوعات الدراسة فى تاريخنا أم العكس ؟

— هل الجامعات المصرية تكرر ما أجازته الجامعات الأمريكية من رسائل واذا افترضنا أن ذلك صحيح الى حد ما فلماذا يحدث هذا ؟

— ماذا يمكن أن يدور فى خلد الأستاذ المصرى المشرف على رسالة خاصة بتاريخ مصر الحديث لو علم أن مثل هذه الرسالة أجيزت فى الولايات المتحدة من قبل ؟ وماذا يمكن أن يدور فى خلد الطالب المسجل لهذه الرسالة أيضا لو أنه علم بأنها قد سبقت اجازتها فى بلد آخر ؟

— هل يجب على الأساتذة المصريين أن يكونوا على دراية بالرسائل الأكاديمية الخاصة بتاريخ مصر التى أجازتها وتجيزها الجامعات الأجنبية ؟ واذا كان ذلك مفيدا فما هو السبيل ؟

— هل الرسائل التى تتم اجازتها فى الجامعات الأجنبية تختلف فى منطلقاتها وطرقها عن الرسائل التى تناقش فى مصر ، وهل النتائج التى يتوصل اليها الباحث المصرى ؟ وبمعنى آخر أنه لو كتب باحث مصرى وآخر أمريكى بحثا فى موضوع واحد هل يتشابهان فى المنهج والنتائج أم يختلفان ؟

— هل الأبحاث التاريخية التى تتم اجازتها فى الجامعات الأمريكية تظهر فيها التحليلات الموضـــوعية أكثر مما تظهر فى رسائل الجامعات الأخرى ؟ واذا كان كذلك فلماذا تتسم معظم هـــذه الأبحـــاث بالتحليل والشمولية والنظرة الموضوعية ؟

— ماهو مدى مســـايرة المـــدارس التاريخيـــة المصرية للمنـــاهج التاريخية الحديثة ؟

— هل نحن نساير الركب أو أننـــا نمضى وراءه ولانلحق به •

— هل من المفيد تكرار البحث فى فترة تاريخية بعينها اذا لم يكن هناك جديد فى الوثائق والتحليلات العامية المتعلقة بها ؟

الواقع ان الاجابة على هذه التساؤلات قد تتطلب وقفة طويلة من جانب المؤرخين المصريين ، يراجعون فيها منجزات المدرســـة التاريخية المصرية منذ نشأتها ، وما هى ايجابياتها وما هى سلبياتها ، ولكن المشكلة عنـــدنا أننـــا نأخذ النقد العلمى غالبا على أنه نقـــد شخصى لشخص معين أو لمجموعة بذاتها مما يجعل البعض يحجم عن اتباع هذه الظاهرة الصحية ، ونظرا لأننى أتصور أن الخلاف فى الرأى لايفسد للود قضية فاننى سأحاول الاجابة على هذه التساؤلات :

١ — بالنسبة لمن أحرز قصـــب السبق فى دراســـة تاريخ مصر الحديث فالواقع أن الجامعـــات الأمريكية ســـبقت جامعاتنا فى بعض الدراسات كما أن جامعاتنا سبقتها فى دراسات أخرى ، وفتحت المجالات لدراسات جديدة لم تطرقها الجامعات الأمريكية بعد •

وعن تكرار الرسائل فالواقع أنه لا أحد فى الجامعات الأمريكيـــة ولا أحد فى الجامعات المصرية — حتى كتابة هـــذا البحث ســـيدرى بما فى حوزة الآخر من رسائل تمت الموافقة عليها •

لذلك فهذا التكرار يرجع الى عـدم معرفة ماتمت الموافقة عليـه هنـا أو هناك ، ومن هنا فان من واجب أقسام التـاريخ بالجامعـات المصرية الاتصال بمثيلاتها فى الجامعات الأجنبية المهتمة بدراسة تاريخ الشرق الأوسط وخصـوصا مصر ، والوقـوف على مايجرى هنـاك ، والتنسيق مع هـذه الجامعات لتفادى مثل هذا التكرار •• قـد يقول البعض اذا كنا لم نستطع التنسيق بين أقسام التاريخ فى الجامعـات المصرية نفسـها فـكيف نسـتطيع التنسيق مع الجامعات الأمريكيـة والأوربيـة •

وربما يدور فى خلد البعض الآخر مشكلة العملة الصعبة (الدولار) التى قـد تقف عائقا فى سـبيل الأساتذة الأمريكيين الرغبـة فى ذلك التنسيق وان الاتصـالات الشخصية بين الأساتذة المصريين وزملائهم من الأجانب ربما قـد تساعد على ذلك التنسيق خصوصا وان الجامعات الأجنبيـة نفسها يهمها أن تعرف عمـا نوقش وسيناقش فى أقسـام التاريخ بجامعاتنا يضاف الى ذلك أن مجالس الجامعـات المصرية التى تتفق الـكثير فى محاولاتها لتطوير حركة البحث العلمى اذا عرض عليها موضوع كهذا فربما تساعد على تحقيقه •

أما عن تكرار البحوث فاننـا نعتقد أنه لو كانت هناك افتراضات ونتائج جديدة فهذا شىء محمود ، أما تكرارها لعدم معرفة أنها نوقشت فى جهة معينة فهذا شىء آخر •

وعن اختلاف طرق البحث بين البـاحث المصرى ومثيله الأمريكى فالواقع أن التقـدم العلمى ودراسات الـكمبيوتر وماكينات التصـوير ساعدت البـاحثين فى الجامعات الأمريكية على سرعة جمع المادة العلمية من شتى مصادرها ، وفى أشكالها المختلفة فى فترة وجيزة مما جعل جمع هذه المـادة لم يعد بالشىء الجـديد فى حد ذاته بل التفرغ للتحليل والتقييم هو الشىء الجديد فى كتابة مثل هـذه الرسائل أما فى مصر فجمع المـادة العلمية يستغرق فترات طويلة حيث أنها فى معظمها غير

مرتبـــة ولا مصنفة علميا ، يضاف الى ذلك أن بعضها غير معروف ممـــا يجعل معظم باحثينا يبذلون جهودا مضـــنية فى جمعها ، وقد يؤدى هذا الى جعل بعضهم قصـــير النفس فى التحليل والتقييم ، وليس معنى هـــذا أن كل الرسائل الأكاديميـــة التى أجيزت فى جامعـــات الولايات المتحدة قـــد وصلت الى حد الـــكمال فبعضها يشوبه القصور وبعضها اكتفى بالمصـــادر الأجنبية ، ولم يرجع الى حقل الأحداث فى مصر التى يكتب عنهـــا وبمعنى آخر فان هـــذه الرســـائل كما أن فيها الثمين فان فيها الغث أيضا ، وهذا الشىء ينصب على الرســـائل التى نوقشت فى جامعاتنا فقصـــور الامكانيات أحيـــانا يقف حجر عثرة أمام باحثينا فلا يســـتطيعون التنقل للتنقيب عمـــا فى جعبـــة دور الوثائق الأوربيـــة والأمريكية من وثائق مصرية موجودة ضمن وثائق هذه الدور •

اننى أدعو الى الأخذ بمبدأ المقـــارنة بين الرسائل الأكاديمية التى كتبت عن مصر والشرق الأوسط فى الجامعات الأجنبية ، وبأقلام غير مصرية ، ومثيلاتها التى ناقشتها الجامعات المصرية وكتبت بأيدى باحثين مصريين فذلك من شأنه تبيان الحقائق ذاتها دون مواربة ولا غرض •

وتوضيحا لخطة عملى فى هذا البحث نذكر أن الجامعات الأمريكية الموجودة داخل الولايات المتحـــدة أجازت حتى نهـــاية ١٩٨٣ والشهور الثلاثة الأولى من عام ١٩٨٤ ما يزيد عن المائة رسالة فى تاريخ مصر الحديث أجازتها أقسام التاريخ بها (٢) •

وسنعرض بالتفصيل فى بحثنا هـــذا لمعظم هذه الرسائل ونقارنها بالرسائل المثيلة أو المشابهة لها التى نوقشت فى الجامعات المصرية ، أما عن الرسائل التى لم نتعرض لها بالتفصيل فى هذه الدراســـة فسنشير اليها عرضا علما بأن أسماء هـــذه الرسائل ومؤلفيها وسنوات اجازتهـــا

---

(٢) لم نعرض فى هذا البحث لمـــا أجازته اقسام العلوم السياســـية بالولايات المتحدة لموضوعات خاصة بتاريخ مصر الحـــديث ، كما اننـــا لم نعرض للرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية خارج الولايات المتحدة .

وأرقام وأماكن تواجدها موجودة ضمن ملاحق هذه الدراسة ، وبمعنى آخر فاننى أستطيع القول بأن هـذه الدراسة تشمل كل الرسائل التى أجازتها أقسام التـاريخ بالجامعات الأمريكية عن تاريخ مصر الحديث منذ بدء هـذه الأقسـام الاهتمام بالدراسات المصرية ، وحتى الشهور الأولى من عام ١٩٨٤ •

ولـكن ليس معنى ذلك أننى قمت بالاطلاع على كل هذه الرسائل بل ان كل ماستطعت القيـام به خلال العـام الذى تواجـدت فيـه بالولايات المتحدة هو الاطلاع على ثلاثين رسالة غير منشورة وحوالى عشرين رسالة منشورة أما باقى الرسائل فقـد اطلعت على ملخصـات لها فى :

1. Dissertation Abstracts International.

2 . Historical Abstracts, Twentinth century Abstracts.

أما عن الرسائل المصرية المشابهة فقـد رجعت اليها جميعا سواء كانت غير منشورة أو منشورة •

وطبقا للقواعد المتبعـة فى دراسة مثل ذلك الموضـوع فقد قسمت الرسائل الى موضوعات ونظرا لتشابكها فقد اتبعت فى تصنيفها أحيانا المنهج الموضـوعى وأحيـانا المنهج الزمنى ، فخرجت فى أحـد عشر فصـلا هذا بالاضافة الى مقدمة وخاتمة وعدد من الملاحق •

وقـد عنون الفصل الأول « مصر العثمانية وعصر محمد على » وتضمن ثمانى رسائل تناولت علاقات الدولة العثمانية بالدولة المملوكية حتى قيـام الحرب بينهمـا وهزيمـة المماليـك فى معركتى مرج دابق والريدانيـة ، والنظم المالية والادارية والقضائية والتجارية والزراعية التى اسـتحدثها العثمانيون فى مصر ، ومكانة العلمـاء ورجال الـدين ودورهم المـؤثر فى نفوس المواطنين خلال هـذه الفترة كما تـناولت

احدى الحركات الانفصالية عن الدولة العثمانية المتمثلة فى حركة على بك الكبير ، فضلا عن دراسة عن محمد على وسياسته الزراعية ، ودراسة أخرى عن دور انجلترا وفرنسا والروسيا فى المسألة المصرية التركية خلال عصر محمد على .

ونظرا لأنه لا توجد ضمن الرسائل التى أجازتها الجامعات الأمريكية دراسات عن عصرى عباس الأول وسعيد فقد عنون الفصل الثانى بـ « عصر اسماعيل ومقدمات الاحتلال » وتضمن ثمانى رسائل تناولت الاهتمام المصرى بمنطقة البحر الأحمر فى عصر الخديو اسماعيل ، ودور مصر الحضارى هناك ، ومحاولات الخديو اسماعيل تحديث مصر بهدف جعلها قطعة من أوربا وأثر ذلك على المالية المصرية ، والورطة التى وقعت فيها مصر من جراء ذلك ، ونظام المحاكم المختلطة وأثره على نظام القضاء فى مصر ، كما شمل السياسة البريطانية فى مصر قبيل عصر الاحتلال ومحاولات انجلترا ابعاد مصر عن أى نفوذ أوربى .

وشمل الفصل الثالث وهو بعنوان « مصر بين الاحتلال والسياسة الأوربية » سبع رسائل تناولت احداها السياسة البريطانية فى مصر خلال حكومة سالسبورى ، وتناولت الأخرى سياسة الوفاق التى اتبعها المعتمد البريطانى جورست فى مصر خلال فترة حكمه لها أما عن الرسائل الخمسة الأخرى فقد تناولت دور الاحتلال البريطانى فى تحديث مصر وتطورها والمسألة المصرية فى البرلمان البريطانى ، وموقف الدول الأوربية من القضية المصرية .

أما الفصل الرابع وهو بعنوان « مصر بين ثورتين » فقد شمل ثمانى رسائل تناولت الثورة العرابية وتطوراتها والخديو عباس الثانى ودوره فى الحركة الوطنية ، وأحوال مصر قبيل وخلال قيام الحرب العالمية الأولى ثم سعد زغلول وثورة ١٩١٩ ، ولجنة ملنر ومفاطعة

الشعب لها ، وتكاتف كافة طبقـــات الأمة من أجل الاستقلال ، وتصريح ٢٨ فبراير والظروف التى أدت الى اصداره .

وعن الفصـــل الخـــامس وهو بعنوان « الأحزاب السياسية فى مصر » فقـــد تضمن ثلاث رسائل شملت اثنتان منهما الحزب الوطنى، ومصر الفتـــاة أما البحث الثـــالث فكان عن دور الأحزاب فى سياسة التحديث فى مصر .

أما الفصل السادس وهو بعنوان « القوى الاجتماعية فى مصر » فقد تضمن ست رسائل شـــملت طبقـــة الأعيـــان ودورها فى الحيـــاة السياسية فى مصر كما تناولت كلا من الحركتين العمالية والنسائية .

وعن الفصل السابع وهو بعنوان « السودان بين الحكم المصرى والأطمـــاع الانجليزية » فقد تضمن سبع رسائل شملت تكوين السودان الحـــديث وفتح محمـــد على له ثم خـــروج المصريين منه بعد قيـــام الثورة المهدية وعودتهم اليه وحكمه بالاشتراك مع الانجليز ، ومشكلة فاشودة والصراع الانجليزى الفرنسى فى منطقـــة أعالى النيل ، كمـــا تضمن مشكلة جنوب السودان ومحاولات الانجليز والبعثات التبشيرية تعميق روح الانفصال بين شمال السودان وجنوبه .

والفصـــل الثامن وهو بعنوان « الحركة الفكـــرية والثقـــافية فى مصر » فقد تضمن ثمانى رسائل شملت الاصلاحات التى تمت بالأزهر فى القرن العشرين ، ودور صحيفة الأزهر فى نشر الوعى الدينى ونشأة دار العلوم ودورها الحيوى فى صيانة اللغة العربيـــة وأحوال التعليم فى مصر فى عصر كرومر ، ودراسة عن اهتمام الانجليز بالآثار المصرية يضاف الى ذلك ثلاث دراسات عن تطور الفكر الاســـلامى الحديث وظهور التيـــارات الليبرالية والقومية فى مصر .

أما الفصـــل التاســـع وهو بعنوان « رواد الحركة الفكـــرية فى مصر » فقـــد شمل احدى عشرة رسالة تضمنت دراسات عن الشوامخ

الذين أثروا فى الحركة التاريخية والثقافيـــة والفـــكرية فى مصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين وهم الجبرتى ، والطهطـــاوى ، وعلى مبارك ، ويعقوب صنوع ، وفرح انطون ، وجرجى زيدان (رسالتان) وسلامه موسى ، ومحمد حسين هيكل ، وسيد قطب هـــذا بالاضافة الى دراسة عن المؤرخين المصريين منذ الجبرتى وحتى عام ١٩٢٢ •

والفصـــل العاشر بعنوان « علاقات مصر الدولية بين الحربين » فقـــد شمل ثلاث رسائل الأولى عن معاهـــدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا، والثانية عن علاقات مصر مع ايطاليا ، أما الرسالة الثالثـــة فعن علاقات مصر مع المانيا ، وقـــد اتضـــح من هـــذه الرســـائل أن علاقات مصر الدولية كانت تقع بصـــفة دائمة تحت تأثير السياسة البريطانية ، وطبقا للمعاهدات المصرية مع بريطانيا •

والفصل الحادى عشر والأخير بعنوان « مصر عبد الناصر » فقد شمل خمس رسائل ثلاثة عن قناة الســـويس ، وآثار تأميمها على العلاقات الدولية ، واثنتين عن العلاقات المصرية السوفيتية خلال حكم عبد الناصر •

وأعقب ذلك الفصل خاتمة تحليلية لهذه الدراسة •

أما أهم المصـــادر التى اعتمدت عليها فى كتابة هذا البحث فهى رســـائل الدكتوراة الأمريكيـــة والمصرية غير المنشـــورة والمنشـــورة ، والمقـــابلات الشخصية مع بعض أصحاب هـــذه الرســـائل ، وفهرس الرسائل الأمريكية الموجودة بمكتبة الـــكونجرس فى واشـــنطن والذى وضعه جورج ديمترى سليم ، هـــذا بالاضافة الى بعض الملخصات التى أوضحت بيانات تفصيلية عنها فى ثبت المصادر •

ويطيب لى أن أتقدم بالشكر الى كل من مد لى يد المعاونة لاتمام هـــذا البحث وأخص بالذكـــر الدكتـــور Donald Reid والدكتوره

ولا يفوتنى أن Arthur Goldschmidt والدكتور Lois Aroian أنوه بجهود العـــاملين فى قسم Interlibrary Loan بمكتبة جامعة Penn state فى مساعدتى على استعارة عشرات الرسائل الخاصـــة بموضوع البحث من العـــديد من الجامعات الأمريكية المختلفة ، وانى آمل أن أكون قد وفقت فى اضافة افادة جديدة للمدرستين التاريخيتين المصرية والأمريكية يتاح من خلالها منع التكرار غير المقصود فى الرسائل الأكاديمية ، وتبين الفجوات التى مازالت باقيـــة فى أبحاثنا التاريخية، فيملأها الباحثون بأبحاثهم .

obeikan.com